تعليمية النحو العربي بين حفظ اللسان وفهم مقاصد الكلام

بن دادة يمينة
اشراف أ/ د: بوعلي عبد الناصر
كلية الآداب واللغات / جامعة تلمسان

الملخص:
اللغة العربية هي إحدى اللغات السامية التي فضلها الله على غيرها من اللغات الأخرى، فهي لغة الحياة ولغة ما بعد الحياة بها نزل القرآن وبها نؤدي مناسكنا فقد تجاوبت مع معاني الإسلام واستوعبتها وأدتها للناس. إلا أن هذا اللسان المبين لم يسلم من اللحن الذي تفشى إثر انضواء أعداد كثيرة من العجم تحت لواء الإسلام. مما دفع بعلماء اللغة إلى التقعيد للنحو وقد حمل لواء هذه الحركة أبو الأسود الدؤلي.
وفي العصر الحديث استفحلت ظاهر اللحن بالمتعلمين مما جعل المدرسين يواجهون صعوبات تدريس اللغة العربية بصفة عامة والنحو بصفة خاصة، إن اللغة العربية غير مخدومة تربويا لذا فإن تعليم اللغة العربية في انحدار مستمر.
الكلمات المفتاحية: التعليمية –النحو العربي – اللسان.

تمهيد:
اللغة العربية بحر لا ساحل له، وقد فضلنا الله على غيرها من اللغات فبها نزل القرآن، وبها نؤدي مناسكا، إلا أن المشكلة الأساسية التي تعاني منها العربية هي الأخطاء النحوية التي عرفتها العربية إثر اختلاطهم بالأمم المجاورة كالفرس والروم ...من جهة وسوء استعمال أبناء جلدتها لها من جهة أخرى. فغدت قضية تعليم النحو تؤرق المعلمين، والمتعلمين على سواء، مما أدى إلى ظهور محاولات متباينة تدعو إلى تيسير النحو العربي، وتطوير طرائقه ومناهجه فاختلفت مذاهبهم في تحديد هذا الضعف، ومع مجيء القرن العشرين تعالت الأصوات المنددة بالتجديد فتولد إثرها اتجاهين معاديين الأول يدعو لإهمال النحو واللجوء إلى العامية، والثاني يهدف إلى التشبث بالفصحى ويسعى للنهوض بها نطقا وكتابة. وللحد من تفاقم هذا الصراع لا بد من التنقيب عن السبيل الأنجع لتعليم قواعد اللغة العربية، وتكوين معلمين وأساتذة جديرين بحمل مسؤولية تعليمها، وقادرين على تقريب هذه المادة من االمتعلم فارتأيت في هذه الدراسة الوقوف على المهارات اللغوية لتيسير النحو العربي وتذليل الصعوبات التي تواجه المتعلم.

تحديد المفاهيم:

التعليمية:Didactique تعني "طريقة التعليم وتقنية فن التعليم"[1] فهي تهتم بالإطار المعرفي الخاص بالدراسة "فالتعليمية تبحث في طبيعة المادة المراد دراستها وتركز على الأهداف المستهدفة وقد أورد

العلماء للتعليمية معنيان الأول عام والثاني خاص، ففي شكلها العام "يقصد بها الأسس العامة التي تستند إليها العناصر المكونة لها من مناهج وطرائق، ووسائل وتقويم والقوانين والنظريات التي تتحكم في تلك العناصر، وفي وظائفها التعليمية "[2]

أما معناها الخاص فنجده في أنها "تهتم بالمجال التطبيقي لتلك المعارف والمبادئ والنظريات والقوانين مع الوجوب النظر إلى خصوصية كل مادة دراسية"[3]

النحو: عرفه جني ابن جني في كتابه "الخصائص " بأنه انتحاء سمت الكلام العرب في تصرفه من إعراب وغيره كالتثنية، والجمع، والتحقير، والتكسير، والاضافة، والنسب، والتركيب، وغير ذلك ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية أهلها في الفصاحة، فينطلق بها وإن لم يكن منهم، وأن شذ بعضهم عنها رد به إليها "[4]

1)الأصالة والتأثير في الدرس اللغوي:

أشارت بعض الدراسات اللغوية إلى وجود نفر من الباحثين شككوا في أصالة النحو العربي وزعموا أن النحو "لم يسلم من مزاعم التأثير الأجنبي ...وأنكروا أن يكون النحو من وضع أبي الأسود الدؤلي أو حتى غيره من العرب، لأنه من صنع اليونان أو الفرس والقليل منهم من سلم بصحة وضع النحو على يد العرب"[5]

وهناك العالم **دي بور** الذي عمد الى ربط النحو بالمنطق اليوناني والنحو السرياني وأكد هذا العمل في قوله "وكان بين نحاة البصرة وكثيرا من الشيعة والمعتزلة الذين فسحوا السبيل للحكمة الأجنبية لكي تؤثر في مذاهبهم الكلامية "[6]

أما **فون كريمر** فنجده ينفي نفيا قاطعا عراقة النحو العربي ويبث سمومه في الدرس اللغوي قائلا: "النحو العربي من صنع الأجانب من الآراميين والفرس، وقد أوجدته الحاجة التي أحس بها هؤلاء الأجانب لتعلم الكتابة العربية وقراءة اللغة العربية على وجه صحيح وعلى الأخص العرب الذين أرادوا أن يقفوا حياتهم للدراسات العلمية"[7]

هذه الآراء وغيرها تفتقد كثير إلى الصحة والموضوعية والانصاف العلمي والتاريخي، وإذا عدنا إلى تاريخ اللغة العربية بصفة عامة والنحو بصفة خاصة، فإننا نجد نخبة من علماء العرب كانت في قمة الدهاء والفطنة كأمثال الخليل بن أحمد الفراهدي، سبويه، أبو عمر بن العلاء، يونس بن حبيب.

الحقائق التاريخية أثبتت أن حركة النحو العربي منبتها بيئة عربية غيورة عن مقوماتها رافضة للحن تزعم نهضتها أبو الأسود الدؤلي ومن سار على نهجه من تلامذته.

2)علاقة النحو بالمهارات اللغوية:

تتمثل في:

أ) علاقته بمهارة الاستمتاع:

الاستماع عملية إنسانية تتمثل في "إدراك هدف المتحدث ومعاني الكلمات وفهم الفكر إدراك العلاقات فيما بينها وتنظيمها وتبويبها ولتلخيصها، واصطفاء المعلومات وتحليل الكلام والحكم عليه"[8] كما يقصد به الانصات – وهي أعلى درجات الاستمتاع – يهدف إلى الاكتساب والفهم والتفسير، ولقد أثبتت الدراسات اللغوية "إن أفضل طريقة لتعليم اللغة، وأيسرها أقربها الى مسايرة الطبيعية هي أن تستمتع إليها فتطيل

الاستمتاع، ونحاول التحدث بها فتكثر المحاولة، وتكل الى موهبة المحاكاة أن تؤدي عملها في تطويع اللغة، وتملكها تيسير التصرف بها، وتلك سنة الحياة في اكتساب الأطفال لغاتهم من غير معاناة، ولا اكراه ولا مشقة، فلو استطعنا أن نضع هذه البنية التي تطلق فيها اللغة من أيسر طرقها، ولمهد لنا كل صعب في طريقنا"[9]

لقد كان للعلماء القدامى الفضل في إبراز أهمية الاستمتاع وهذا ما نوه اليه العلامة ابن خلدون عندما قال "فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم يسمع كلام أهله جيله وأساليبهم في مخاطباتهم، وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم، كما سمع الصبي استعمال المفردات في معانيها، فيتقنها أولا ثم يسمع التراكيب بعدها فيتقنها، أم يزال سماعهم لذلك يتجدد في كل لحظة من كل واستعماله يتكرر الى أن يصير ذلك ملكه، وصفة راسخة لدى السامع والمتلقي "[10]

ب) علاقته بمهارتي القراءة والكتابة:

القراءة نشاط عقلي فكري يدخل فيه الكثير من العوامل التي تهدف إلى ربط لغة التحدث بلغة الكتابة، وقد تطور مفهومها عبر أجيال عدة، وأصبح يتمثل في تمكين المتعلم من المقدرة على التعرف على الحروف والكلمات ونطقها [11]

فالنحو العربي يهدف الى تجسيد هاتين المهارتين وتدريب الطلاب على ضبط لغتهم، وتقنين الكلمات والجمل، فهو يسعى لحفظ اللغة واستقامة اللسان وتجنب اللحن لأن "مهارة القراءة تكسب المتعلم مهارة الخط على السبورة، كما يكتسب مهارة الإملاء التي تعد أساسا هاما في التعبير الكتابي، ووسيلة لصحة الكتابة، من حيث صورة خطية ورسمية تمكن المتعلم، وتدربه على الكتابة دون أخطاء وعلى رسم حروف الكلمات رسما صحيحا، وعلى التمييز بين الأصوات اللغوية المختلفة وأشكالها"[12]

ومن هنا يتضح للباحث أن "الاستمرار في القراءة يكسب الفرد ثقافة وعلما، كما يعين على الفهم واستعاب قواعد اللغة، وأصول نحوها وصرفها وتوظيف هذه القواعد والأصول على الوجه الصحيح في التعبير عن أفكاره أحاسيسه"[13]

قال حاجي بن خليفة: واعلم أن جميع المعلومات إنما تعرف بدلالة أحد الأمور الثلاثة: الإشارة واللفظ والخط فالإشارة تتوقف على المشاهدة واللفظ يتوقف على حضور المخاطب وسماعه، أما الخط فلا يتوقف على شيء فهو أعمها نفعا. [14]

أن لمهارة الكتابة دورا فعالا في إثراء ثروة الطلاب اللغوية، فمن خلالها يمارس مهارات التعبير لفظا، وتدوينا للعبارات، فتساعده هذه المهارة على اكتشاف الخطأ عند مشاهدته مكتوبا. [15]

ج) علاقته بمهارة المحادثة:

تحتل المحادثة المركز الثاني بعد السماع، وتعد الوسيلة الأسرع في التبليغ وفي تبادل الآراء والخبرات فالمرء يستند عليها في قضاء حاجاته والتواصل مع غيره إلا "إن حفظه للمصطلحات، وترديدها لا يعني أنه امتلك ناصية اللغة، فالاكتساب الحقيقي للغة لا يحصل من خلال حفظ القواعد المجردة، لكن عن طريق فتق اللسان بالمحاورة

وممارسة اللغة فعلية في جميع المقامات التي تستعمل فيها."[16]

ولعل أنجع السبل في الحصول على ملكة لغوية سلسة سليمة من اللحن لا يكون "بكثرة الحفظ من كلام العرب، حتى يرتسم في خيالة المنوال الذي نسجوا عليه تراكيبهم، فينسج هو عليه وينزل الملكة المستقرة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم. [17]

3)طرائق تدريس النحو:

تطور المناهج التعليمية دفع بالمعلمين إلى اعتماد طرق متعددة ومتباينة في عملية التعليم ولعل من أبرزها ما يلي:

1. **طريقة الإلقاء:** تعد من أقدم وأكثرها شيوعا عند المعلمين ترتكز على المعلم بصفته محور أساسي في العملية التعلمية "يقوم فيها المدرس بإلقاء المعلومات على طلابه بأسلوب المحاضرة أو الإملاء، وفيها تحول المعلومات من أدمغة المدرسين إلى عقول الدارسين." [18]
2. **طريقة التلقين:** لا تختلف طريقة التلقين عن الطريقة السابقة لأن الاعتماد الكلي في إيصال المعارف وتفعيل النشاط يقوم مدى غزارة معلومات المعلم ويكون الطالب سلبيا.
3. **الطريقة الحوارية:** تعتمد هذه الطريقة على الحوار والمناقشة بين المتعلم والمعلم مما يضفي تفاعلا إيجابيا في العملية التعليمية التعلمية
4. **الطريقة الاستقرائية:** إنّ أساس هذه الطريقة هي نظرية تربوية ترى أن العقل البشري يتكون من مجموعة من المدركات الفكرية وهذه المدركات يرتبط بعضها بالبعض الآخر، وأن هذه الأفكار تتفاعل مع بعضها البعض فتنتج أفكارا جديدة." [19]
5. **الطريقة القياسية:** هي "إحدى طرق التفكير العامة التي يسلكها العقل في الوصول من المعلوم إلى المجهول." [20]

هذه الطرائق وغيرها وما تحمله في طياتها من محاسن ومساوئ لا يمكن لها أن تحقق الأهداف المنشودة في تعليم اللغة العربية لأبناء العربية إلا إذا أخذنا بمحاسن كل طريقة ومحاولة تحوير هذه الطرائق في طريقة واحدة تعود بالفائدة على الفئة المستهدفة، وأنا أرى أن المعلم هو فقيه قسمه فبعد اطلاعه على هذه الطرائق يختار ما يتماشى مع الفئة المتعلمة وأن يربط دروس اللغة العربية بالأحداث الإسلامية في القديم والحاضر.

4) دور المعلم في تدريس قواعد النحو:

يعد مدرس اللغة العربية المعلم الذي يستنبط منه المتعلم قواعد اللغة العربية، ونظرا لعظم الرسالة التي على عاتقه نحصه القدامى في قولهم "خذ من الأدب ما يعلق بالقلوب، وتشتهيه الآذان، وخذ من النحو ما تقيم به الكلام ودع الغموض. "لذا يجب عليه أن يربط دروس اللغة بأساليب التعبير اليومي، وأن يفتح شهيتهم ويرغبهم في دراسة اللغة الفصحى، ويستعمل كل الوسائل التي تجعل منهم عاشقين للغتهم، وإذا أرد تعليمها فلأمراء من "استخدامها وتطويعها ...لتصبح الملكة وكل ما تلقته الأذن، وتكرر عليها سر إلى اللسان فطبعه وقومه أعوجه ...فالسبل القويمة في تعليم اللغة هي أن نمكن المتعلم من أن يسمع معربا صحيحا أيضا "[21]

كما يجدر بالمعلم مشاركة المتعلمين كتابة ونطقا؛ فإذا نجح في تحقيق هذا الهدف سقطت كل الحواجز وعلى رأسها حاجز قواعد اللغة، وأن تكون الغاية "من تدريس المادة ليس فهم القاعدة وحسب، إنما تمكين المتعلم من توظيفها وتطبيقها في مختلف المجالات، ليكون قادرا على الابداع والخلق والتجديد"[22] وتأصيل النحو عند المتعلمين يجعلك تواجه جيلا يجيد الكلام قراءة وكتابة من غير لحن.

فالمتعلم لا ينال حظه من العلم "إلا إذا استطاع تطبيقه على العمل والانتفاع به في مواضعه ومواطنه التي وضع لأجلها، ولن يستطيع ذلك إلا استكثر معلمه من الأمثلة والشواهد الملائمة لقواعد ذلك العلم، افتتن في ايرادها افتنانا يقرب إلى ذهنه تلك الصلة من العلم والعمل، ويسهل له الوصول إلى القدرة على تلك المطابقة"[23]

وقد أظهرت الدراسات الحديثة أن المتعلم "يزداد قدرة على التعبير كلما تهيأت له الفرص لتطبيق ما يدرسه من قواعد اللغة، ويسمعه ويتلقن من الكلمات والصيغ والأساليب والتراكيب اللغوية عمليا، وكلما هيأ المدرس فرصا عديدة للمتعلم للكتابة قام بتصحيح الأخطاء في الكتابة وكان الاستيعاب أكثر"[24]

وفي الختام يتضح أن اللغة أداة تواصل ترتكز على فنون أربعة هي: الاستماع والتحدث والقراءة والكتابة. فتعليم النحو يجب أن يتم في ضوء هذه الفنون الأربعة وفي وحدة وتكامل، وأن فروع اللغة ليست إلا أداة لتحقيق التواصل اللغوي، وعلى الغيورين على اللغة العربية وكل المنتمين إلى الامة العربية والقائمين على تعليمها بتوحيد الجهود لمواجهة التحديات المعاصرة والمشكلات التي تعيق تعلمها، وأن نحصن أبناء الأمة بلغتهم ونجعل اللسان العربي المبين لغة الخطاب والتأليف وضرورة متابعة محاولة التيسير في مجال اللغة وخاصة في النحو والإملاء والعروض وتطوير أساليب تدريس اللغة العربية، إعداد المعلمين لغويا وتربويا.

هوامش الدراسة:

1 - Dictionnaire encyclopedique de pedagogie moderne. Ed. Fernand Nathan .1973. p.95

[2] – مقاربة التدريس بالكفاءات. أخير الدين هني، ط1، 2005، ص 128

[3] – المرجع نفسه ص 129

[4] – الخصائص، ابن جني، ت عبد الحميد هنداوي، 88/1

[5] – القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، د عبد العال سالم مكروم، دار المعارف، مصر، 1978، ص 54

[6] – تاريخ الفلسفة في الإسلام، دي بور، ترجمة وتعريب مصطفى بدر، مطبعة السعادة، مصر، ص 38.

[7] – الحضارة الإسلامية ومدى تأثيرها بالمؤثرات الأجنبية، ت مصطفى بدر، دار الفكر العربي، مصر، ص 90.

[8] – جوانب القصور في تعليمية قواعد اللغة العربية في ظل المقاربة بالكفاءات – المرحلة الابتدائية نموذجا– د بن يشو جيلالي، مجلة فكر ولغة، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، كلية الآداب والفنون، العدد 2 ص 84

[9]– جوانب القصور في تعليمية قواعد اللغة العربية في ظل المقاربة بالكفاءات – المرحلة الابتدائية نموذجا– د بن يشو جيلالي، ص 84-85.

[10] - المقدمة، ابن خلدون ص 344.

11 – جوانب القصور في تعليمية قواعد اللغة العربية في ظل المقاربة بالكفاءات – المرحلة الابتدائية نموذجا– د بن يشو جيلالي، ص 84

12 – المرجع السابق ص 84.

13 – اكتساب وتنمية اللغة، د خالد الزواوي، مؤسسة حورس الدولية، ط1 ،2005، ص 91.

14 – ينظر: أساليب تدريس اللغة العربية وآدابها، عبد الفتاح حسن البجة، دار الكتاب الجامعي، عمان الأردن، 2005، ص 178.

15 – جوانب القصور في تعليمية قواعد اللغة العربية في ظل المقاربة بالكفاءات – المرحلة الابتدائية نموذجا– د بن يشو جيلالي، ص84

16 – المرجع نفسه ص86.

17 – نفس المرجع نفس الصفحة.

18 – دروس في اللسانيات التطبيقية، صالح بلعيد، دار هومة، ص58

19 – الاتجاهات التربوية المعاصرة في تدريس اللغة العربية، محمد رجب، فضل الله، عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1 1998، ص26

20 – تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، حسن أحمد شحاتة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط4، 2000، ص60.

21 – جوانب القصور في تعليمية قواعد اللغة العربية في ظل المقاربة بالكفاءات – المرحلة الابتدائية نموذجا– د بن يشو جيلالي، ص86

22 – جوانب القصور في تعليمية قواعد اللغة العربية في ظل المقاربة بالكفاءات – المرحلة الابتدائية نموذجا– د بن يشو جيلالي، ص93

23 – النظرات، المنفلوطي ،3/ 07

24 – تعليمية اللغة في ضوء المعارف اللسانية الحديثة، واقع وآفاق، أ سعاد بسناسي، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، العدد الأول، 2010، ص19

المصادر والمراجع:

1. Dictionnaire encyclopedique de pedagogie moderne. Ed. Fernand Nathan .1973.
2. مقاربة التدريس بالكفاءات. أخير الدين هني، ط1، 2005،
3. الخصائص، ابن جني، ت عبد الحميد هنداوي، الجزء الأول.
4. القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية، د عبد العال سالم مكروم، دار المعارف، مصر، 1978
5. تاريخ الفلسفة في الإسلام، دي بور، ترجمة وتعريب مصطفى بدر، مطبعة السعادة، مصر
6. تاريخ الفلسفة في الإسلام، دي بور، ترجمة وتعريب مصطفى بدر، مطبعة السعادة، مصر
7. الحضارة الإسلامية ومدى تأثيرها بالمؤثرات الأجنبية، ت مصطفى بدر، دار الفكر العربي، مصر
8. جوانب القصور في تعليمية قواعد اللغة العربية في ظل المقاربة بالكفاءات – المرحلة الابتدائية نموذجا- د بن يشو جيلالي، مجلة فكر ولغة، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، كلية الآداب والفنون، العدد 2.
9. المقدمة، ابن خلدون.
10. اكتساب وتنمية اللغة، د خالد الزواوي، مؤسسة حورس الدولية، ط1 ،2005،
11. أساليب تدريس اللغة العربية وآدابها، عبد الفتاح حسن البجة، دار الكتاب الجامعي، عمان الأردن، 2005
12. دروس في اللسانيات التطبيقية، صالح بلعيد، دار هومة
13. الاتجاهات التربوية المعاصرة في تدريس اللغة العربية، محمد رجب، فضل الله، عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1 1998
14. تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، حسن أحمد شحاتة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط4، 2000.
15. تعليمية اللغة في ضوء المعارف اللسانية الحديثة، واقع وآفاق، أ سعاد بسناسي، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، العدد الأول، 2010.